مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٨

بلاغةُ المهمشين : الاِسْتِجَابَات البليغة فِي مختارات من أَجْوِبَةِ النساء المُسْكِتَةِ في التراث العربي

أ.م.د.نوال جاسم محمد

كلية الآداب /جامعة ذي قار

البريد الإلكتروني Email : nawaaljasim@utq.edu.iq

الكلمات المفتاحية: بلاغةُ المهمشين، الاِسْتِجَابَات البليغة ، أَجْوِبَةِ النساء ، المُسْكِتَةِ ، التراث العربي.

كيفية اقتباس البحث

محمد، نوال جاسم ، بلاغةُ المهمشين : الاِسْتِجَابَات البليغة فِي مختارات من أَجْوِبَةِ النساء المُسْكِتَةِ في التراث العربي ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آب ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٨ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Eloquence of the Marginalized: Eloquent Responses in Selected Silencing Answers from Women in the Arab Heritage

Assistant Professor Dr.Nawal Jassim Mohammed
University of Dhi Qar, College of Arts

Keywords : The rhetoric of the marginalized, eloquent responses, women's silencing replies, Arab heritage.

How To Cite This Article
Mohammed, Nawal Jassim , The Eloquence of the Marginalized: Eloquent Responses in Selected Silencing Answers from Women in the Arab Heritage,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, August 2026,Volume:16, Issue 8.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research examines eloquent female responses to injustice through the theoretical lens of Dr. Emad Abdel Latif's framework on the "Rhetoric of the Audience," viewing these responses as a form of symbolic resistance that repurposes the language of the marginalized to challenge material hierarchies of power. The central problematic of this research revolves around a core question: How did women in Arabic heritage—despite systemic gender and political constraints—utilize silencing answers (Al-Ajwiba al-Muskita) as simultaneous defensive and offensive mechanisms grounded in verbal refutation and rhetorical confrontation? Furthermore, how did these responses align with the core tenets of the rhetoric of the audience, such as conciseness, rationality, and the subversion of authoritarian communicative norms? Ultimately, this study aims to elevate these historical retorts from the realm of literary anecdotes to the domain of active social and political resistance. By doing so, it deconstructs the strategies of discursive reproduction employed by women, demonstrating how they intercepted authoritarian speech and reformulated it to silence the oppressor, thereby securing a rhetorical victory for the marginalized recipient . To emphasize the discipline of

the methodological approach, the researcher limits the scope and academic aim of the study to observing "eloquent responses," represented by "women's silencing replies" in the face of authority, without tracing historical backgrounds or examining doctrinal dimensions and ideological disputes. The focus here is on tracing women's pragmatic intelligence and understanding their mechanisms for seizing the "eloquent response" that overturns the balance of symbolic power and compels the center to silence. It should be noted that describing this group as "the eloquence of the marginalized" does not in any way imply that the female figures under study are inherently weak or of low status. Rather, it is an accurate description of their pragmatic position within a power structure that monopolizes material and political power. This marginalization remains a contextually imposed discrimination, while their very beings retain a moral and intellectual sovereignty that has enabled them to transform material deprivation into an enduring, value-based victory.

الملخص

يدرس هذا البحث الاستجابات النسائية البليغة بوصفها مقاومة رمزية تطوع لغة المستضعفين لخلخلة تراتبية القوة المادية. وتتبلور إشكالية البحث في تساؤل جوهري: كيف استطاعت المرأة في التراث العربي_ رغم القيود الجندرية والسياسية_ توظيف الأجوبة المسكتة بوصفها آلية دفاعية وهجومية قائمة على الإفحام والتدافع البلاغي؟ وكيف تماهت ردودها مع سمات بلاغة الجمهور من إيجاز، وعقلانية، وتجاوز للأعراف السلطوية؟ تسعى الدراسة بذلك إلى نقل هذه الاستجابات من حيز الطرائف الأدبية إلى أفق الفعل الاجتماعي والسياسي المقاوم، مفككة آليات إعادة الإنتاج الخطابي لدى النساء، وكيفية تلقفهن لكلمات السلطة وإعادة صياغتها لإسكات المنشئ والانتصار للذات المتلقية. وتأكيدًا على انضباطِ الرؤيةِ المنهجيةِ تحصرُ الباحثةُ نطاق الدراسة ومقصدها الأكاديمي في رصد (الاستجابات البليغة) ممثلة في (أجوبة النساء المُسكتة) في مواجهة السلطة، بعيداً عن تتبع الخلفيات التاريخية، أو محاكمة الأبعاد العقائدية والخصومات الأيديولوجية. وينصب التركيز هنا على تتبع ذكاء المرأة تداولياً، وفهمُ ميكانزماتِها في اقتناصِ(الاستجابة البليغة) التي تقلبُ موازينَ القوةِ الرمزيةِ وتُلزمُ المركزَ حدَّ الصمتِ. علماً بأن وصف هذه الفئة بـ (بلاغة المهمشين) لا يعني بحالٍ ان الشخصيات النسائية موضع الدراسة هيَ شخصياتٌ مستضعفةٌ ذاتيّاً، أوْ وضيعةُ الشأنِ والمكانةِ ، بل هو توصيف دقيق لموقعهن التداولي في سياق سلطة تحتكر القوة المادية والسياسية؛ إذ يظل هذا التهميش تمييزاً فُرِض عليهن سياقيًا، بينما تحتفظ ذواتهن بسيادة أخلاقية ومعرفية مكنتهن من تحويل العجز المادي إلى انتصار قيمي خالد

مقدمة

تُعدّ بلاغة الجمهور فعلاً من أفعال المقاومة الرمزية ، التي تُطوّع لغة المقهورين ؛ لمواجهة تراتبية القوة المادية ؛ ولما كانت الأجوبة المسكتة ذروة هذا الفعل البلاغي، فإن حضور المرأة فيها يُمثّل تجلياً صارخاً لقدرة الذات المظلومة على اجتراح القول البليغ في مقام القهر، وتحويل صمت التهميش إلى بلاغة مواجهة تُفحم الحاكم وتسترد الكرامة بضربة لغوية خاطفة.

يأتي هذا البحث؛ ليدرس الاستجابات النسائية البليغة مسترشداً بالمنجز المعرفي للدكتور عماد عبد اللطيف، الذي قَعَّدَ لهذا المفهوم بوصفه أداة لقلب موازين القوة لغوياً. وتبرز إشكالية البحث في السؤال الجوهري: كيف استطاعت المرأة في التراث العربي برغم القيود الجندرية والسياسية أن توظف الأجوبة المُسْكِتة القائمة على مفهوم الإفحام الذي يمثل ذروة التدافع البلاغي بين الباث والمُتَلَقِّي بوصفها آلية دفاعية وهجومية في آن واحد؟ وكيف تماهت هذه الاستجابات مع سمات بلاغة الجمهور من حيث الإيجاز، والعقلانية، وتجاهل أعراف التواصل السلطوية؟ إننا إزاء محاولة جادة لاستنطاق المسكوت عنه في التراث العربي، ونقله من حيز الطرائف الأدبية إلى حيز الفعل السياسي والاجتماعي المقاوم، فضلاً عن تفكيك إستراتيجيات إعادة الإنتاج لدى النساء؛ وكيف لَقِفْن كلمات السلطة وأعَدْن صياغتها بما يُسْكِت المُنْشِئ ويُحَقِّق استحصالاً بلاغياً ينتصر للذات المُتَلَقِّيَة. ولأجل تفكيك هذه الإشكالية، اعتمدت الدراسة المنهج التكاملي المُزاوِج بين الوصفي التحليلي؛ لرصد مفاهيم (بلاغة الجمهور) وبنية الأجوبة المُسْكِتة، والتداولي الحجاجي؛ لملاحقة ذكاء (الاستجابة البليغة) لدى المرأة. كما انفتحت على آلية التحليل الثقافي النقدية؛ لتجاوز الحدود اللفظية المحضة نحو تفكيك التراتبيات المادية (الجندرية والسياسية)، ونقل الاستجابات من حيز الطرائف إلى أفق الفعل المقاوم.

وتأكيدًا على انضباطِ الرؤيةِ المنهجيةِ تحصرُ الباحثةُ نطاق الدراسة ومقصدها الأكاديمي في رصد (الاستجابات البليغة) ممثلة في (أجوبة النساء المُسكتة) في مواجهة السلطة، بعيداً عن تتبع الخلفيات التاريخية، أو محاكمة الأبعاد العقائدية والخصومات الأيديولوجية. وينصب التركيز هنا على تتبع ذكاء المرأة تداولياً، وفهمُ ميكانزماتِها في اقتناصِ(الاستجابة البليغة) التي تقلبُ موازينَ القوةِ الرمزيةِ وتُلزمُ المركزَ حدَّ الصمتِ. علماً بأن وصف هذه الفئة بـ (بلاغة المهمشين) لا يعني بحالٍ ان الشخصيات النسائية موضع الدراسة هيَ شخصياتٌ مستضعفةٌ ذاتيّاً، أوْ وضيعةُ الشأنِ والمكانةِ ، بل هو توصيف دقيق لموقعهن التداولي في سياق سلطة تحتكر القوة المادية والسياسية؛ إذ يظل هذا التهميش تمييزاً فُرِض عليهن سياقيًا، بينما تحتفظ ذواتهن بسيادة أخلاقية ومعرفية مكنتهن من تحويل العجز المادي إلى انتصار قيمي خالد

المبحث الأول :المرتكزات المفاهيمية :

أولا: بلاغةُ المهمشين في فضاء بلاغةُ الجمهورِ: آلياتُ الاستجابةِ وإعادةُ الإنتاجِ :

لم تعد البلاغة الحديثة حبيسةَ حدود القول المُنْشَأ، ولا أسيرةَ قصدية المتكلّم وحدها؛ بل غدت فعلًا تواصليًّا ديناميكيًّا يتشكّل في ضوء تفاعل الجمهور واستجاباته المتعددة؛ إذ بات المتلقّي شريكًا فاعلًا في إنتاج المعنى، لا مجرّد مستقبلٍ سلبيٍّ له. وفي هذا الإطار، تبرز بلاغة الجمهور بوصفها اتجاهًا يعيد الاعتبار لدور المخاطَب، ويركّز على آليات التلقي والتأويل، وأنماط الاستجابة التي تتولّد عن احتكاك الخطاب بسياقاته المختلفة. فهي حقلٌ معرفيٌّ أسَّسَ لهُ الباحثُ عمادُ عبدِ اللطيفِ في دراستِهِ عامَ ٢٠٠٥م[١]، غايته تمكين الإنسان العادي من امتلاك وعيٍ نقديٍّ يكشف به تحيزات الخطاب السلطوي ومغالطاته ليميزه عن الخطاب الحر. وتكمن الغاية الأسمى في الانتقال بالمتلقي من مرحلة الكشف إلى مرحلة الفعل؛ عبر تدريبه على إنتاج استجابات بلاغية مضادة تفكك التضليل ، وتصوغ خطاباً بديلاً ومستقلاً يواكب آفاق التلقي الجماهيري المعاصر[٢] ؛ فضلاً عن تعزيزِ قدرةِ المتلقينَ على التمييزِ بين الخطابِ السلطويِّ وغيرِهِ ، وفهمِ دوافعِ المتكلمِ وأغراضِهِ[٣] .

وتُعرَّف بلاغة الجمهور بأنها: ((البلاغةُ التي تواجهُ وتقاومُ الأثرَ البلاغيَّ لبلاغةِ السلطةِ))[٤]. ومن ثمَّ، تتنوع مقاربات مقاومة بلاغة السلطة بين مسارين؛ أحدهما: تفكيكي يسعى لنقد الخطاب وكشف آليات هيمنته وإنتاجه ، والآخر: تمكيني يهدف إلى تفعيل قدرة الفئات المستهدفة على مواجهته؛ سواءً عبر صياغة خطاب مضاد يدعم حقوقهم تشريعياً واجتماعياً، أو بتعزيز استجاباتهم البلاغية لتمكينهم من إنتاج خطاب مستقل متحرر من السلطة[٥]. وإذا كانت الاستجابة تمثّل الأفق الإجرائي الذي تنتهي إليه بلاغة الجمهور، فإن بعض أنماطها تتّسم بخصوصيةٍ لافتة؛ من أبرزها ما يُعرف بـ(الأجوبة المسكتة) ، التي تنطوي على ردودٍ حاسمةٍ وموجزة تفحم الخصم وتُغلق باب الجدل ؛ اتكاءً على سرعة البديهة ، ودقة اختيار اللفظ ، وكثافة الدلالة . ومن هنا، يغدو الوقوف على مفاهيم الاستجابة وتحليل أنماطها مدخلاً منهجياً ضرورياً لفهم هذا اللون من الخطاب؛ الذي يدمج بين آليات الحجاج ومقتضيات البلاغة في آنٍ واحد .

وتُعرَّف الاستجابة بأنها:((عملية تفاعلية يعبر من خلالها الجمهور عن أفكاره وانفعالاته))[٦] أمّا الاستجابة البليغة ، فهي: ((العَلاماتُ اللّغويَّةُ وغيرُ اللّغويَّةُ التي يُنتجُها الأفرادُ المشاركونَ في التواصلِ العموميِّ ؛ لمقاومةِ الخطاباتِ التي تمارسُ تمييزًا أو عنصريةً أو تلاعبًا أو هيمنةً أو إقصاءً أو غيرَها، من أشكالِ إساءةِ استعمالِ الخطابِ))[٧]، أو هي:((خطابٌ مضادٌّ يستجيبُ لخطابٍ آخرَ ليدعمَ ما هو تحرريٌّ ونبيلٌ ، ويقاومَ ما هو سلطويٌّ وتمييزيٌّ وإقصائيٌّ

وتلاعبيٌّ))[٨]. وتسمى لحظة مقاومة الجمهور(المتلقي) للخطاب السلطوي استجابة بليغة؛ لأنه استطاع تفكيك ميكانزمات الخطاب التي تحاول السيطرة عليه[٩]. وتتسم هذه الاستجابة((بالتنوع، فقد تكون لفظية ، أو غير لفظية ، فردية أو جماعية ، مادية أو افتراضية...الخ))[١٠]. فأينما وُجدت الاستجابات البلاغية وُجدت بلاغة الجمهور بوصفها مادةً تحليليّة، وحيثما مُورست الاستجابات الجماهيرية من منظور الإقناع والتأثير وُجدت بلاغة الجمهور بوصفها علماً [١١].

إن العلاقة التي تربط بلاغة المهمشين ببلاغة الجمهور هي علاقة توليدٍ معرفي ومنهجي؛ فبقدر ما أسّست بلاغة الجمهور لانعطافةٍ نقدية كبرى عبر شرعنة دراسة فعل المتلقي، جاءت بلاغة المهمشين ؛ لتشكل الثمرة الأكثر نضجاً وعمقاً لهذه الانعطافة . فقد نهضت هذه البلاغة لإعادة الاعتبار والفاعلية لخطابات الفئات المظلومة والمستضعفة تاريخياً واجتماعياً ، متجاوزةً الرؤية التقليدية التي تختزلها في موقع المستهلك السلبي، لتضعها في مقام الذات الصانعة للأثر البلاغي والمؤثرة فيه. ومثلما كان الإقناع والتأثير هما الغايتين اللتين تتبعهما البلاغة الكلاسيكية ، فإن غاية بلاغة الجمهور تتجه نحو تمكين المتلقي من صياغة استجابات بليغة؛ تكون كفيلة بمواجهة إساءات استعمال الخطاب وتفكيك آليات السلطة في آن واحد [١٢].

وتأسيساً على هذا الترابط المفهومي ، يمكن اجتراح تعريف إجرائي لبلاغة المهمشين بوصفها حركية نقدية تنتمي لـ (بلاغة الجمهور) ، وتُعنى بتحليل الاستجابات البليغة للفئات المظلومة عبر التاريخ. وهي بلاغةٌ لا ترتبط بمؤسسة أو سلطة ، بل تقوم أساساً على منطق الاستجابة المضادة؛ إذ تحوّل المتلقي من نمط السلبية إلى فضاء الفاعلية الخطابية القادرة على الإفحام ، مستثمرةً سرعة البديهة وخصوصية المقام؛ لتفكيك الخطاب المتسلط ، وتحويل العجز المادي إلى انتصار قيمي وأخلاقي خالد. ولعل التجسيد الأكثر حيوية ونموذجية لهذا التعريف الإجرائي يتمظهر في أبهى صوره التعبيرية عبر بنية (الأجوبة المسكتة) في التراث العربي، بوصفها التطبيق العملي الأبرز للاستجابة المضادة ضمن فضاء بلاغة الجمهور. ويتجلى هذا الحضور المنهجي في المادة النصية التي خلدها كتابا (بلاغات النساء) لابن طيفور و(الأجوبة المسكتة) لابن أبي عون؛ إذ لم تكن هاتان المدونتان مجرد تجميع لنصوص معزولة، بل كانتا توثيقاً علمياً لمواجهات حادة ومباشرة ، خاضتها المرأة بوعيها اللغوي ضد سلطتين رئيستين ، هما : السلطة السياسية(الخلفاء والولاة والقادة) ، والسلطة المجتمعية(الأب والأخ والمجتمع).

ثانيا: الجواب المسكت بوصفه استجابة بلاغية وأداة لمقاومة السلطة :

التعريف اللغوي :

يعرِّفُ ابنُ منظورٍ(٧١١هـ) الجواب بقولـه:((وهو الذي يُقابِلُ الدُّعاءَ والسُّؤالَ بالعطاءِ والقبولِ، سبحانهُ وتعالى، وهو اسمُ فاعلٍ من أجابَ يُجيبُ . والجَوابُ ، معروفٌ : رَدُّ الكلامِ ، والفعلُ: أجابَ يُجيبُ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ [البقرة ١٨٦]، أي: فليُجيبوني... والإجابةُ : رَدُّ الكلامِ ، تقولُ : أجابَهُ عن سؤالِهِ ، وقد أجابَ إجابةً وإجابًا وجوابًا وجِجابةً ، واستجابَهُ واستجابَ لهُ))[١٣] .

وذكَرَ ابنُ فارسٍ(٣٩٥هـ) في معنى السكوت أنَّ: ((السِّينُ والكافُ والتاءُ تدلُّ على خِلافِ الكلامِ، تقولُ: سَكَتَ، يَسْكُتُ، سُكوتًا، ورجلٌ سِكِّيتٌ، ورُماةٌ بسُكَّاتٌ أي بما أَسْكَتَهُ))[١٤] .

التعريف الاصطلاحي :

الجواب المسكت هو((إيقاعُ الجوابِ على المُبتدِئِ بالسؤالِ ، وإفحامُ المُشاغِبِ عن معارضِه بالحِجاج))[١٥]، ومثالُها:((قال رجلٌ للأحنفِ: أخبرني الثِّقةُ عنك بسوءٍ، فقال الأحنفُ: الثِّقةُ لا يَنِمُّ))[١٦]. أو هو((قول بليغ مرتجل ، يعتمد على المشافهة ، يقصد به تصحيح الكلام ، أو اثبات حق ، أو دفع شبهة مع الإصابة والسرعة في الإجابة))[١٧] . وتتميز الأجوبة المسكتة بسرعة الرد ، والاصابة في القول ، والتكثيف في المعاني، وحسن البيان ، وافحام الخصم[١٨].

اذن يمكن القول إنَّ الجواب المُسْكِت: هو فعل قولي ارتدادي ، يتميز بفورية الأداء وحسم المواجهة الكلامية، سواء جاء موجزاً خاطفاً يعتمد على المباغتة وإعادة تدوير لفظ الخصم، أو مستفيضاً مستقصياً يعتمد على تراكم الحجج وتفنيد المقاربات البديلة ؛ وغايته المشتركة في الحالتين هي تعطيل الكفاءة التداولية للطرف الآخر وإصابة خطابه بالقمَع والعجز عن التعقيب.

ويُمثّل الجواب المسكت ذروة التكثيف والوعي البلاغي، إذ يستثمر السياق لإفحام الخصم وقلب موازين القوة برَدٍّ ارتدادي يكسر استعلاءه . وتتضاعف قيمة هذا الفن في أجوبة النساء بالتراث العربي بوصفه أداة للمقاومة البلاغية ضد السلطة (السياسية، الأبوية، والاجتماعية)، حيث واجهت المرأة سطوة المتسلط بردود خاطفة دقيقة، وحوّلت ضعفها المفترض إلى قوة منطقية تُقوّض هيبته وتكشف تهافت خطابه عبر آليات متنوعة، نحو : المحاججة بالمرجعية الشرعية ، وتفكيك الفخاخ اللفظية...الخ ، وبذلك، لم تكن البلاغة الأنثوية المسكتة مجرد إبانة، بل فعل تحرري أحدث توازناً جديداً للقوى، تكون فيه الغلبة لمن يمتلك فصل الخطاب لا سياط القوة.

المبحث الثاني: استجابات المرأة البليغة في مواجهة السلطة(السياسية والاجتماعية):

أولا_ الاستجابة البليغة في مواجهة الفخاخ الخطابية للسلطة وتفكيكها :

تُعدّ اللغة ساحة معركة غير مرئية تُقاس فيها القوة بالقدرة على قراءة ما بين السطور، ولم تكن الحوارات الموجهة نحو المرأة تاريخيًا مجرد تبادلٍ بريء للأفكار، بل غلبت عليها المصائد اللغوية والأسئلة الملغومة التي تُصاغ بعناية لحصرها في زوايا ضيقة بهدف فرض خيارات ثنائية زائفة أو وضعها في موقف دفاعي دائم. وهنا تجلّت عبقرية المرأة في ضوء بلاغة الجمهور؛ حيث لم يعد جوابها مجرد ردّ فعل ذاتي، بل تحوّل كلامها إلى استجابة بليغة مصممة بذكاء ؛ لتخاطب الوعي الجمعي ، وتكشف زيف منطلقات السائل أمام المتلقين. فمن خلال أجوبتها المسكتة التي تحمل قوة الإفحام، نجحت المرأة في التفكيك المنهجي لبنية الفخاخ الخطابية؛ فلم تنشغل بالدفاع عن نفسها، بل قلبت الطاولة بالكامل على الأسئلة السلطوية ؛ لتتحول من موقع المُتّهمة إلى موقع القاضية التي تُعرّي القوالب النمطية وتكشف قصور الخطاب الأبوي علنًا، وبذلك لم تكتفِ بإبطال مفعول السؤال، بل انتزعت سلطة توجيه الحوار العام وأعادت صياغة قواعده بالكامل ، ومن مصاديق ذلك ما جاء في كتاب بلاغات النساء بأنه :((**دَخلَتْ بكَّارةُ الهلاليَّةُ على معاويةَ بنِ أبي سفيانَ بعدَ أَنْ كَبِرتْ سنُّهَا ودَقَّ عظمُهَا، ومعَهَا خادمانِ لهَا وهيَ متَّكئةٌ عليهِمَا وبيدِهَا عكَّازٌ، فسلَّمتْ على معاويةَ بالخلافةِ فأحسنَ عليهَا الرَّدَّ وأذِنَ لهَا في الجلوسِ، وكانَ عندَهُ مروانُ بنُ الحكمِ وعمرو بنُ العاصِ، فابتدأَ مروانُ فقالَ: أمَا تعرفُ هذهِ يا أميرَ المؤمنينَ؟ قالَ: ومَنْ هيَ؟ قالَ: هيَ التي كانتْ تعينُ علينَا يومَ صفِّينَ... ،ثمَّ سكتَ القومُ، فقالتْ بكَّارةُ: نبحتْنِي كلابُكَ يا أميرَ المؤمنينَ واعتورتْنِي، فقصرَ محجنِي، وكَثُرَ عجبِي، وعشِيَ بصرِي، وأنا واللهِ قائلةٌ ما قالُوا لا أدفعُ ذلكَ بتكذيبٍ، فامضِ لشأنِكَ فلا خيرَ في العيشِ بعدَ أميرِ المؤمنينَ**))[١٩]

تُمثل الأجوبة المسكتة للمرأة في مواجهة السلطة السياسية المستبدة نموذجاً تطبيقياً حياً لإستراتيجيات الاستجابة البليغة في ضوء (بلاغة الجمهور) ، حيث ينتقل الفرد المعارض أو المستضعف عبرها من موقع المتلقي الخاضع لخطاب السلطة الاحتكاري ، إلى موقع المنتج الفاعل لخطاب هجومي مضاد يمتلك قدرة تفكيكية تخلخل أركان القوة السياسية المدججة بالترهيب والوشاية. وتتجلى عظمة هذه الاستجابة في قدرة المرأة على تفكيك (الفخاخ البلاغية) التي نصبتها الحاشية (مروان بن الحكم، وعمرو بن العاص،) ؛لاستعداء الخليفة عليها، فبدلاً من اللجوء إلى الإنكار أو التبرير، باغتت (بكارة) المنظومة الحاكمة بآلية الإقرار الشجاع والتصديق الفوري لمواقفها السابقة قائلة: ((وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب)) ، وهو ما أبطل مفعول الابتزاز السياسي ونزع سلاح الوشاة بتحويل تهمة التمرد إلى توثيق للموقف المبدئي الصلب. ولم تكتفِ الاستجابة البليغة بالدفاع ، بل انتقلت ببراعة إلى قلب الأدوار وتدنيس الرموز النخبوية عبر استعارة لاذعة نسفت بها هيبة أقطاب الدولة حين قالت: (نبحتني كلابك يا أمير

مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٨

المؤمنين واعتورتْني) ؛ لتحوّل الوزراء والمستشارين في عقر مجلسهم إلى(كلاب تنبح) ، ناقلةً نفسها من موضع المتهم الخائف إلى موضع المترفع الذي يشكو تطفل المحرضين ووضاعتهم.

ومن منظور بلاغة الجمهور، استثمرت (بكارة) ضعفها الجسدي المتمثل في (كبر سنها، وضعف بصرها،) بأسلوب سجعي تقابلي محكم: ((فقصر محجني، وكثر عجبي، وعشي بصري)) ، لا لاستدرار العطف، بل لتعرية الفجوة الأخلاقية الفاضحة لرجال دولة يستقوون بجيوشهم على امرأة عجوز؛ لِتُتوِّج مواجهتها بتحطيم الركيزة الأخيرة للاستبداد_وهي الخوف من الموت والعقوبة_ حين قالت بجرأة وجودية: ((فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين)) . إن هذا الإعلان الحاسم لموت الخوف ، والمصحوب بضرب شرعية السلطان في مجلسه عبر إعلان الولاء لخصمه التاريخي علي بن أبي طالب(عليه السلام)، يبرهن على أن الأجوبة المسكتة لجمهور المحتجين تُصاغ بآليات بلاغية تفكيكية قادرة على إجبار رأس السلطة المستبدة على الصمت والإذعان أمام طهارة الحجة وقوة الكلمة العزلاء.

ثانيا _الاستجابة البليغة عبر استراتيجية الإيجاز والسرعة (الضربة القاضية):

ينهض عدد من أجوبة النساء المسكتة على ثالوث بؤري تتكامل فيه الأدوات والوجوه؛ وهو: الإيجاز المكثف الذي يختزل الفكرة ويحرم الخصم من مساحات المناورة، والسرعة الخاطفة (بديهة الارتجال) التي تصدم المتلقي وتسلب منه ترقّب الصدارة، وصولاً إلى (الضربة القاضية) التي تُحدث خلخلة تامة في ميزان القوة، وتجبر الطرف المستعلي على الصمت والإذعان. إنها بلاغة اللحظة الحرجة التي استطاعت المرأة عن طريقها أن تقلب الطاولة على سلطة السائل، محولةً ضعفها المفترض إلى قوة باهرة تخرق السائد ، وتؤسس لشرعية لسانها في فضاء الاحتجاج اللغوي ، ومِنْ أبرزِ الشواهدِ التراثيةِ التي تُقدّمُ تمثيلاً نموذجياً لآليةِ (السرعةِ، والإيجازِ، والضربةِ القاضيةِ) في خطابِ الهامشِ، ما رصَدَتْهُ مُدوناتُ الأجوبةِ المُسكتةِ في الموقفِ الآتي:

((**مرَّتِ امرأةٌ نميريةٌ على مجلسِ قومِها في يومِ ريحٍ، فقالَ رجلٌ منهمْ: هيَ رسحاءُ؛ فقالتْ: يا بني نميرٍ، ما أطعمَكُمُ اللهُ، ولا أطعتُمُ الشاعرَ. قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠] وقالَ الشاعرُ: فغُضَّ الطرفَ إنَّكَ منْ نميرٍ ... فلا كعباً بلغتَ ولا كلابًا**[*]))[٢٠] ، إذ تَتجلَّى كفاءةُ بلاغةِ المهمشينَ في هذا المثال حينَ تنجحُ المرأة المستضعَفَةُ في قَلْبِ موازينِ القوةِ داخلَ الفضاءِ العامِّ ، فلمْ تقفِ المرأةُ النميريةُ موقفَ الضحيةِ المنكفئةِ أمامَ خِطابِ التحرُّشِ والتلصُّصِ الذكوريِّ الذي حاولَ استباحةَ كرامتِها وجَسدِها بعِبارةِ: (هيَ رسحاءُ) ، بلْ بادرتْ _برغمِ تهميشِها الاجتماعيِّ_ إلى تفكيكِ مَركزيةِ السُّلطةِ الذكوريةِ الحاضرةِ في مَجلسِ القبيلةِ ، فبِديهةٍ ارتجاليةٍ خاطفةٍ صدمتْ وعيَ الحاضرينَ ، واختزلتْ ردَّها الساخرَ في جملةٍ

دُعائيةٍ تَهكميةٍ: (يا بني نُميرٍ، ما أطعمَكُمُ اللهُ ، ولا أطعتُمُ الشاعرَ) ؛ لِتشنَّ هُجوماً مضاداً نقلَ المَعركةَ فوراً منْ مَوقعِ الدفاعِ عَنِ الجسدِ إلى مَوقعِ الهجومِ على الأخلاقِ والشَّرَفِ القبليِّ، مسددةً ضربتَها القاضيةَ عبرَ آليةِ (التهكُّمِ التناصِّيِّ المركَّبِ) ، حيثُ حاصرتْهُم بينَ فكَّيِ الامتثالِ الدينيِّ لعِصيانِهم أمرَ الآيةِ الكريمةِ: **{قُل للمؤمنينَ يغضُّوا مِنْ أبصارِهم}**[النور :٣٠] ، وبَيْنَ الذلَّةِ والضَّعْفِ الاجتماعيِّ باستدعاءِ بيتِ جريرٍ القائلِ: (فغُضَّ الطرفَ إنَّكَ مِنْ نُميرٍ*** فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاباً!) ، وبذلكَ قَلبتِ الموقفَ لصالحِها تماماً، وسلبتْ رجالَ المَركزِ كلَّ فائضِ قوةٍ يملكونَهُ ، فلمْ تكتفِ بإفحامِ الشاتمِ ، بلْ جردتِ القبيلةَ كُلَّها منْ مَظاهرِ السيادةِ والفخرِ؛ ليتراجعَ مَجلسُ الرجالِ المُستعلينَ ويذعنَ للصَّمْتِ المطبقِ أمامَ سِيادةِ لسانِ الهامشِ وفصاحتِهِ.

ومنه أيضا:((**قالَ ابنُ الأحنفِ لجاريةِ أبيهِ: يا زانيةُ؛ قالتْ: لو كنتُ فاعلةً، أتيتُ أباكَ بمثلِكَ**))[٢١]، إذ تتحقَّقُ ذروةُ الكفاءةِ الأدائيةِ لـلاستجابة البليغة في(بلاغةِ المهمشينَ)حينَ تنجحُ الذاتُ المستضعَفَةُ في قَلْبِ موازينِ القوةِ داخلَ الفضاءِ المنزليِّ المعقّدِ ، حيثُ تتشابكُ سلطةُ النفوذِ الطبقيِّ معَ الهيمنةِ الذكوريةِ، وهو ما يُقدّمُهُ التراثُ العربيُّ في أبهى صُورِ الإيجازِ والسرعةِ والضربةِ القاضيةِ حينَ قالَ ابنُ الأحنفِ لجاريةِ أبيهِ مستعلياً:(يا زانيةُ)، فما كانَ منَ الجاريةِ إلا أنْ تلقَّفتِ المقذوفَ اللفظيَّ ببديهةٍ ارجاليةٍ خاطفةٍ دونَ تردّدٍ أو انكفاءٍ، واختزلتْ ردَّها الساخرَ في خمسِ كلماتٍ مكثفةٍ سدَّتْ بها منافذَ التعقيبِ قائلةً:(لو كنتُ فاعلةً، أتيتُ أباكَ بمثلِكَ!). لتأتي الضربةُ القاضيةُ هنا عبرَ استراتيجية الايجاز والسرعة الصاعقة ؛ إذْ لمْ تنفِ الجاريةُ التهمةَ عنْ نفسِها تبريراً، بلْ سلَّمتْ بجدليتِها لغوياً ؛ لتجعلَ منَ الشاتمِ وأبيهِ الضحيتينِ الحقيقيتينِ للشتيمةِ، محوّلةً الأبَ إلى شريكٍ مفترضٍ في فِعلِ الزنى، والابنَ المستبِدَّ إلى ثمرةٍ مخزيةٍ ونتاجٍ رديءٍ لهذا الفعلِ، وبذلكَ تجرّدُ المركزَ الطبقيَّ منْ فائضِ قوتِهِ، وتتحوَّلُ بضربةٍ بيانيةٍ مسكتةٍ منْ موقعِ المتَّهمَةِ المستضعَفَةِ إلى موقعِ القويةِ الساخرةِ التي تملكُ زِمامَ اللفظِ وصدارةَ الموقفِ.

ولم تقف حدود هذه الآلية عند هذا الموقف فحسب، بل نجد تجلياتها بوضوح في جواب جاريةٍ أخرى أُثِر عنها سرعة البديهة؛ إذ ((**اعترضَ رجلٌ قبيحُ الوجهِ جاريةً مليحةً، فرآها متكرهةً لهُ، فقالَ لها: لنفسي أريدكِ. قالتْ: فمنْ نفسكِ أفرُّ**))[٢٢] . حيث تمكنت هذه الجارية المستضعفة_التي تقبع في أدنى الهرم الاجتماعي والطبقي_من قلب موازين السلطة الذكورية وتفكيك صلفها عبر استجابة خاطفة حسمت المعركة بـ (الضربة القاضية). فبينما حاول الرجل استغلال امتيازه الذكوري وتفوقه الطبقي لفرض رغبته ومحاصرتها، متجاوزاً نفورها وقبح منظره بعبارة استعلائية تسعى للاستلاب(لنفسي أريدكِ)، نقلت الجارية المعركة فوراً من ميدان القوة المادية المفقودة لديها إلى ميدان القوة الذهنية والبيانية. وبإيجازٍ بليغ وسرعة بديهة مذهلة، :

(فمنْ نفسكِ أفرُّ)، حيث أعادت تدوير سلاحه اللفظي ضده؛ فاستعارت(نفسه) التي يعتز بها وجعلت منها مكمن الخطر والنفور الذي يُفرّ منه، محوّلةً كبرياءه إلى مسخرة، ومحققةً حريتها وكرامتها الإنسانية عبر سخرية لاذعة أسكتت سلطته وحجمت صلفه في ثوانٍ معدودة.

ثالثا_ الاستجابة البليغة عبر الاسكات بالكلمة والمقاومة والصمود (تحولات السلطة):

شكّلت استجابات النساء البليغة في مجالس السلطة والسياسة تاريخاً موازياً من المقاومة اللغوية التي أربكت المركزيات الطاغية وعرّت زيفها. وحين يتعلّق الأمر بالمواجهة المباشرة للاستبداد السياسي ، فإنّ خطاب المرأة يخرج من دائرة (المهمّش) المستسلم لآلة القمع ؛ ليعيد صياغة فضاء بلاغة الجمهور بأدواتٍ بالغة الأثر والإسكات.

إنّ المستبدّ يسعى دوماً عبر فائض القوة المادي، والمشهدية الاحتفالية، والعسكرية إلى فرض صمتٍ مطبق يحوّل الضحايا والجمهور الحاضر إلى مجرّد هوامش منكسرة لا تملك إلّا الاستماع والامتثال. وفي هذه اللحظة الحرجة بالذات، تتجلّى عبقرية الأجوبة النسائية المسكتة؛ إذ تلتقط المرأة الجريئة خيوط الخطاب من يد الجلّاد، مستعينةً بمرجعيات متعالية نحو : الوعي التاريخي، والتعرية السيكولوجية ؛ لتقلب الطاولة الرمزية على رأس السلطة. هذه المواجهة الشفهية المباشرة والمجرّدة من ألقاب التبجيل السياسي لا تقف عند حدود الدفاع أو الاستعطاف، بل تتحول إلى هجومٍ بلاغيّ كاسح يستردّ فيه المقهور مركزية الكلمة وقوتها؛ ليُثبت أنّ لسان الحق الأعزل_ المستند إلى العزة الأخلاقية_ قادرٌ على إسقاط هيبة الحاكم المدجج بالسلاح والملك، وإعادة تشكيل وعي الجمهور الحاضر من حيز الذهول والخوف إلى حيز اليقظة والرفض.

ومن هذا المنطلق ، ستشرع الباحثة الى تفكيك آليات المواجهة المباشرة ، وكيف أصبحت الكلمة النسائية المسكتة هي المركز الإقناعي الأقوى في مجالس الاستبداد . ومن مصاديق ذلك تجلّياً ، وأسطعها برهاناً في تاريخنا العربي والإسلامي ما جاء في كتاب بلاغات النساء: أنه بعد مقتل الحسين بن علي (عليهما السلام) ، سُيِّرَت النساء والبقية من آل محمد(صلوات الله عليهم) إلى ابن زياد، ومنه إلى يزيد بن معاوية. ولما مَثَّلوا بين يديه ، وُضِع رأس الحسين(عليه السلام) في طست ، فجعل يزيد ينكث ثناياه بقضيب في يده متمثلاً بأبيات شعرية يتمنى فيها لو شهد أجداده الذين قُتلوا في بدر هذا المشهد ؛ ليفرحوا بأخذه بثأرهم من بني أحمد. ((**فقالتْ زينبُ بنتُ عليٍّ، عليهما السلامُ: صدقَ اللهُ ورسولُهُ يا يزيدُ؛** ﴿**ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ**﴾ [الروم: ١٠] ،**أظننتَ يا يزيدُ، أنَّهُ حينَ أُخِذَ علينا بأطرافِ الأرضِ وأكنافِ السماءِ، فأصبحْنا نُساقُ كما يُساقُ الأسارى، أنَّ بنا هواناً على اللهِ وبكَ عليهِ كرامةً، وأنَّ هذا لعظيمُ خطركَ؟! فشمختَ بأنفِكَ، ونظرتَ في عطفيكَ جذلانَ فرحاً!**))[٢٣] . يُمثّل

هذا النص التاريخي نموذجاً فذّاً للاستجابات النسائية البليغة والمُسكتة في فضاء بلاغة الجمهور، وتحديداً في سياق (المواجهة المباشرة لسلطة الاستبداد السياسي) من خلال تجلّيات بلاغة المقهورين ؛ إذ يكشف النص عن تكتيك تداولي ، وقدرة على قلب موازين القوى الرمزية لصالح الفئات التي أراد المستبد استبعادها وتهميشها (النساء والأسارى) . فبينما كان يزيد يستعرض فائض قوته المادية والعسكرية عبر نكث الثنايا بقضيب في يده وإنشاد أبيات التشفي والاعتزاز بثأر الجاهلية لفرض الهزيمة النفسية وتكريس هامشية الضحية ، جاء جواب السيدة زينب(عليها السلام) ؛ ليعيد إنتاج الخطاب من مركز القوة الأخلاقية ، مستخدمةً آلية المقاومة بالكلمة بوصفها أداة يمتلكها المهمش في مواجهة المركز السلطوي. وقد تجلى ذلك عبر عتبة استهلالية متعالية تمثلت في قولها:(صدق الله ورسوله) .

تنهضُ القوةُ السجالية في خطاب السيدة زينب(عليها السلام) على تقويضِ المركزيةِ التي يتخندقُ خلفها (يزيد) محوّلةً إياها من مركزِ قوةٍ مادي إلى موقعِ ضعفٍ أخلاقي ولساني. تستهلُّ العقيلةُ استجابتَها بـ (الاستفهام الإنكاري) بوصفه أداةً للتوبيخ وكسرِ الغطرسة، حين تتساءل: (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض.. أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟ ، إنَّ هذا التساؤل ليس طلباً للمعرفة ، بل هو(فعلُ إقحامٍ) يفككُ منطقَ الطاغية الذي توهّمَ أنَّ الانتصار العسكري مرادفٌ للمشروعية الإلهية.

هذا التوظيف البلاغي الذكي والتناص الآلي والمباشر مع الآية : ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠] ، نقل المحاكمة فوراً من سلطة المجلس الأرضية الزائلة إلى المحكمة الإلهية المطلقة ، مُحيلًا يزيد من موقع الحاكم المنتصر إلى موقع المسيء والمكذب المستدرج . كما برزت بلاغة المهمش في تفكيك سيكولوجية الحاكم الجوفاء؛ إذ نجحت من خلال توظيف الاستفهامات الإنكارية المتتالية والملغية للألقاب السياسية (يا يزيد) في رصد وتعرية خلجاته النفسية (فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفيك، جذلان فرحاً)؛ لتُثبت للجمهور الحاضر أن مظاهر القوة الظاهرية من أسر وتسيير لبنات الرسول(صلى الله عليه وآله) لا تعكس كرامة للطاغية ولا هواناً للضحية، بل هي محض إمهال واستدراج إلهي ، وبذلك تحوّل خطاب الضحية من حيز الدفاع والاستعطاف إلى هجوم بلاغي كاسح يستردّ فيه الهامشُ مركزية الكلمة وقوتها ، فالسبي الذي أريد له أن يكون إعلاناً لمهانة الضحية، تحول بفضل بلاغتها إلى وثيقة إدانة تاريخية للمستبد. لقد أثبت لسانها الأعزل_ المستند إلى العزة الأخلاقية والنسب النبوي _أنّ الأسيرة المغلوبة في الظاهر هي القادرة حقيقةً على إسقاط هيبة الحاكم المدجج بالسلاح والملك ، وإعادة تشكيل وعي الجمهور الحاضر من حيز الذهول

والخوف إلى حيز اليقظة والرفض، وكيف أصبحت الكلمة النسائية المسكتة هي المركز الإقناعي الأقوى الذي حوّل مجلس السبي إلى محكمة للتاريخ؟!

وتتجلى أبعاد بلاغة المهمشين والمستضعفين سياسياً عندما تتحول الاستجابة البليغة من فضاء الدفاع إلى فضاء الصمود والمقاومة التاريخية ، ومن ذلك الاستجابة البليغة لأسماء بنت أبي بكر عند صلب ابنها عبد الله الزبير ((**قال ابن عمر لأسماء: اصبري؛ فإن الجثث لا تألم، والأرواح حيث يشاء الله. فقالت: وما يمنعني أن أصبر وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل**))[٢٤] . ففي لحظة انكسار سياسي ومأساة إنسانية كبرى، يعمد الخطاب الأنثوي هنا إلى تجاوز حدود التقرير العقلاني الذي واساها به ابن عمر(فإن الجثث لا تألم) ؛ لتصعد بالاستجابة عبر آلية الاسكات بقوة الكلمة والصمود. فبقولها: (وما يمنعني أن أصبر وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل)، تصنع أسماء مقاربة حِجاجية تُعيد بها ترتيب القوى؛ فهي من جهة تسلب الفاجعة خصوصيتها المؤلمة ؛لتربطها بابتلاء الأنبياء، ومن جهة أخرى تمرر إدانة بليغة ومبطنة للسلطة المنتصرة مشبهةً إياها بـ (بغايا بني إسرائيل). إنها بلاغة لا تكتفي بالمسالمة، بل تنتزع القوة والشرعية الإخلاقية والسياسية من رحم التهميش والانكسار.

رابعا _ الاستجابة البليغة عبر ألية السخرية والتهكم:

تعتمد هذه الآلية على استثمار خطاب السائل المستعلي ونقده من داخله؛ حيث تعمد المرأة (المهمشة طبقياً أو جندرياً) في ردّها المسكت إلى اقتناص اللفظة الساخرة أو النظرة الفوقية التي يطلقها النخبوي؛ لتُعيد توجيهها إليه بذات النسق التركيبي والمنطقي(المشاكلة المضمونية)، مضافاً إليها طابع متهكم يُعرّي تناقضه ويضعه في موضع الدفاع بدلاً من الهجوم. إن التهكم هنا يتحول من مجرد تندر إلى(مقاومة لغوية) وبنية دفاعية تفكك بنية التميز العرقي أو الطبقي ؛ لتنتزع المرأة اعترافاً بقيمتها الفكرية عبر إلزام المخاطب بما ألزم به غيره ، وهو ما يُعرف بنظام (المعاملة بالمثل) لغوياً ومعنوياً.

ومن الشواهد التراثية الفذة التي تلتقي فيها براعة الاستجابة الجماهيرية بحدة التهكم والمشاكلة في بلاغة المهمشين، ما أورده الجاحظ في الموقف الذي دار بين شداد الحارثي وأمةٍ في البادية (وهي هنا تمثل ذروة التهميش: امرأة، وأمة، وسوداء، وفي البادية)، حيث يتبين كيف تلاشت فوارق السلطة أمام سلطة التفوّق اللغوي؛ إذ ((**يقولُ الجاحظُ: قالَ شدَّادٌ الحارثيُّ: قلتُ لأمةٍ سوداءَ بالباديةِ: لمنْ أنتِ يا سوداءُ؟ قالتْ: لسيدِ الحضرِ يا أصلعُ. قلتُ: أولستِ سوداءَ؟ قالتْ: أولستَ أصلعُ؟ قلتُ لها: فما أغضبكِ من الحقِّ؟ قالتْ: الذي أغضبكِ منهُ. لا تسبَّ حتى**

ترهبَ، ولأنْ تتركَهُ أصوبُ))[٢٥] . تتجلى كفاءة (بلاغة المهمشين) في هذا النص التراثي عبر نجاح الأَمَة السوداء في تفكيك منطق الهيمنة الطبقية والعرقية، وقَلْب موازين القوة اللغوية رأسًا على عقب باستخدام آليتي السخرية والتهكم؛ فبينما انطلق السائل من مركزية مستعلية تتوسل بسلطة السؤال والتحقير الجسدي والطبقي (□لمن أنتِ يا سوداء؟□)، رفضت المرأة التخندق في موقع الضحية المستكينة، وعمدت فورًا إلى تقويض هذا الامتياز النخبوي عبر استراتيجية المماثلة التهكمية حين نادته بـ (□يا أصلع□). لقد تمكنت عبر هذا التهكم الذكي من نقل المعركة من فضاء العبودية والحرية إلى فضاء الوجود الإنساني المشترك، فجعلت من الصلع موازيًا موضوعيًا للسواد ، كاشفة بسخرية لاذعة عن الوعي الزائف للمستعلي الذي يبيح لنفسه تعيير الهامش بما فيه، في حين يتذمر هو من الحقيقة الجسدية ذاتها (□الذي أغضبك منه□). ولم تقف هذه الاستجابة البليغة عند حدود الإسكات العابر، بل تجاوزته لتأسيس سلطة معرفية بديلة حين تحولت الأَمَة من موقع المستجوَبة الضعيفة إلى موقع الموجّه الأخلاقي والمنظّر البلاغي الذي يشرّع لقواعد بلاغة الجمهور قائلة: (□لا تسبَّ حتى ترهب، ولأن تتركه أصوب□)؛ لتثبت في النهاية أن سلطة اللسان والبيان قادرة على زلزلة مركز النفوذ وتجريده من فائض قوته من أضعف نقطة في الهامش.

خامسا_ الاستجابة البليغة عبر آلية المحاجة بالمرجعية والتناص القرآني:

وتتجلى أسمى صور هذه الاستجابة البليغة للمرأة عبر آلية المحاججة بالمرجعية والتناص القرآني؛ فالمرأة المهمشة لغوياً وسياسياً لم تكن تكتفي بمجرد الرد الانفعالي، بل كانت تستدعي النص الأعلى (القرآن الكريم)؛ ليكون درعاً حِجاجياً يُضفي الشرعية المطلقة على موقفها، ويجرد خصمها من أي قدرة على الرد أو المناورة. إن هذا الاتكاء البلاغي على التناص القرآني يعمل بوصفه استراتيجية تفكيكية لقلب موازين القوى؛ فحين يتقاطع كلام المرأة مع الآيات القرآنية، لا يعود الخصم_ حتى إن كان حاكما_ في مواجهة امرأة مستضعفة، بل يجد نفسه مجبراً على مواجهة النص الإلهي الذي يُمثّل المرجعية العليا للأمة بأسرها. وبذلك، تُثبت آليات التناص والمحاججة بالمرجعية أن بلاغة المهمشين لم تكن بلاغة عفوية أو تابعة ، بل كانت خطة واعية لامتلاك زمام المبادرة اللغوية ، واختراق أسوار السلطة عبر أضيق الكلمات وأبلغها إيجازاً وإسكاتاً ، ومن شواهده حادثة إحدى النساء مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إذ: **((خطَبَ عمر الناس ، فقال : ما هذهِ الصَّدقات التي مدَدتُم أيديكم إليها ؟ لا يبلغَنِّي أنَّ رجلاً مدَّ يده إلى ما يجاوز صدقات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلاّ رددتُ الفضل منه إلى بيت المال . فقالت امرأةٌ فوهاء من صفِّ النِّساء : ما جعل الله لك ذلك يا ابن الخطاب وقد قال الله ، وقوله**

أحقُّ بالقبول من قولك : ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[النساء: ٢٠] ،فقال عمر: أيُّها الناس، امرأةٌ أصابت ورجلٌ أخطأ.ناضل أميركم فنُضل)) [٢٦] . تكشف الحادثة عن تحوّل جذري في موقع إنتاج الخطاب من المنبر السلطوي إلى المجال العام المشترك . فعندما حاول الخليفة عمر بن الخطاب فرض قرار تنظيمي من أعلى إلى أسفل يقيد المهور، برزت استجابة المرأة الفوهاء بوصفها آلية للدفاع الشرعي وبلاغة مضادة تمثل فئة المحكومين والمهمشين تاريخياً وسياسياً (كالنساء في ذلك الفضاء العام) الذين لا يملكون سلطة تنفيذية لكنهم يمتلكون سلطة البيان؛ حيث حطمت هيبة القرار جهاراً وبمواجهة مباشرة جردت فيها الحاكم من ألقابه الرسمية قائلة: ((ما جعل الله لك ذلك يا ابن الخطاب)) . ويتجلى الربط هنا في كون الاستجابة البليغة أداتها الفورية لإسكات الخطاب الاستبدادي عبر آلية المحاجة بالمرجعية العليا، مستشهدة بالنص القرآني: ﴿**وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ [النساء: ٢٠] ؛ لتصعق منطق السلطة بالإيجاز المفحم. إن هذه المواجهة تؤصل لبلاغة الجمهور، وبلاغة المهمشين بوصفها بلاغة الموقف واللحظة التي يرفض فيها الطرف الأضعف سياسياً أن يكون مستهلكاً سلبياً للقرارات ، فيستعير سلطة النص الإلهي ؛ ليزعزع بها سلطة الحاكم الأرضي، وهو ما تجسد في نجاح هذه الاستجابة الأنثوية في شل حركة الخطاب التنفيذي للدولة بأكملها وإجبار رأس السلطة على التراجع العلني والإقرار بالهزيمة الفكرية أمام بلاغة المهمش في مقولته التاريخية:(امرأة أصابت ورجل أخطأ).

سادسا _ الاستجابة البليغة عن طريق استراتيجية القلب والمغالطة العكسية:

تعد آلية القلب والمغالطة العكسية إحدى أقوى الاستراتيجيات الحِجاجية التي وظفتها المرأة ؛ لتجريد السلطة(السياسية أو المجتمعية) من أسلحتها الرمزية . تعتمد هذه الآلية في أصلها البلاغي على التقاط مفردات الخصم، أو منطلقاته الفكرية ، أو حتى دواعي فخره ، ثم قلبها عكسياً ضده بحيث يُعاد تدوير الحجة التي أرادت بها السلطة إدانة المرأة أو إسكاتها ؛ لتصبح هي الدليل الدامغ على إدانة السلطة نفسها . إنها عملية مراوغة ذكية تخلخل منطق الخصم عبر كشف تناقضاته الداخلية ، فحين يُحاول الحاكم أو المجتمع حصر المرأة في زاوية الجمهور المستضعف أو المتهم، تعمد هي إلى استخدام المغالطة العكسية ؛ لتقلب الأدوار، فتتحول من موضع الدفاع إلى موضع الهجوم، وتجعل من مكامن القوة المفترضة في خطاب السلطة نقاط ضعف قاتلة تُفحم الخصم وتُلزمه الصمت. وبذلك، يكون الجواب المسكت استراتيجية تفكيكية واعية تعيد صياغة علاقات القوة داخل الفضاء البلاغي، مُعلنةً أن بلاغة المهمشين تملك القدرة على اختراق الخطاب الرسمي وهدمه بأدواته ومصادراته نفسها. ومن مصاديق هذه الآلية في

أجوبة النساء ما ذكر من أنَّ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلتْ على معاوية بن أبي سفيان بالموسم وهي عجوز كبيرة، فبادرته بمواجهة بلاغية صارمة انتقدت فيها استئثاره بالحكم وتنكّره للفضل، قائلة له :((**لقدْ كفرتَ بعدي بالنعمةِ، وأسأتَ لابنِ عمِّكَ الصحبةَ، وتسميتَ بغيرِ اسمِكَ، وأخذتَ غيرَ حقِّكَ بغيرِ بلاءٍ كانَ منكَ ولا منْ آبائِكَ في الإسلامِ. ولقدْ كفرتُمْ بما جاءَ بهِ محمدٌ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) فأتعسَ اللهُ منكمُ الجدودَ، وأصغرَ منكمُ الحدودَ، حتى ردَّ اللهُ الحقَّ إلى أهلِهِ، وكانتْ كلمةُ اللهِ هيَ العليا، ونبيُّنا محمدٌ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) هوَ المنصورُ على منْ ناواهُ ولوْ كرهَ المشركونَ.فكُنَّا أهلَ البيتِ أعظمَ الناسِ في الدينِ حظّاً ونصيباً وقَدْراً، حتى قبضَ اللهُ نبيَّهُ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)مغفوراً ذنبُهُ، مرفوعاً درجتُهُ، شريفاً مرضيّاً. فصرْنا أهلَ البيتِ منكمْ بمنزلةِ قومِ موسى منْ آلِ فرعونِ؛ ﴿يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ [البقرة :٤٩] ،وصارَ ابنُ عمِّ سيدِ المرسلينَ فيكمْ بعدَ نبيِّنا بمنزلةِ هارونَ منْ موسى حيثُ يقولُ: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾ [الأعراف:١٥٠] ولمْ يجمعْ بعدَ رسولِ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) لنا شملٌ، ولمْ يسهلْ لنا وعرٌ؛ وغايتُنا الجنةُ، وغايتُكُمُ النارُ!))**[٢٧]. ولما حاول عمرو بن العاص التدخل لإسكاتها ووصفها بالعجوز الضالة، التفتت إليه وألجمته ببيان نسبه وحقيقته قائلة له: ((**واعنْ بشأنِ نفسِكَ؛ فواللهِ ما أنتَ من قريشٍ في اللبابِ من حسبِها، ولا كريمِ منصبِها. ولقدِ ادَّعاكَ ستةٌ من قريشٍ، كلُّهُ يزعمُ أنَّهُ أبوكَ، ولقدْ رأيتُ أمَّكَ أيامَ منًى بمكةَ مع كلِّ عبدٍ عاهرٍ _أيْ فاجرٍ_فأتَمَّ بهمْ؛ فإنَّكَ بهمْ أشبهُ!))**[٢٨]. وحين أراد مروان بن الحكم مساندة عمرو والطعن في عقلها وشهادتها، ردت عليه رداً مسكتاً شككت فيه بأبوة الحكم له قائلة : ((**فواللهِ لأنتَ إلى سفيانَ بنِ الحارثِ بنِ كلدةَ أشبهُ منكَ بالحكمِ، وإنَّكَ لتشبهُهُ في زرقةِ عينيكَ، وحمرةِ شعرِكَ، معَ قصرِ قامتِهِ، وظاهرِ دَامامتِهِ. ولقدْ رأيتُ الحكمَ مادَّ القامةِ، ظاهرَ الأُمَّةِ، سبطَ الشعرِ، وما بينكما قرابةٌ إلا كقرابةِ الفرسِ الضامرِ من الأتانِ المقربِ؛ فاسألْ أمَّكَ عما ذكرتُ لكَ، فإنَّها تخبرُكَ بشأنِ أبيكَ إنْ صدقتْ!**)) [٢٩٦] ، ثم ختمت مواجهتها أمام معاوية بتأكيد ترفعها عن الخصومة لولا تعرض رجاله لها، منشدة أبياتاً في فضل علي بن أبي طالب ومحاكمة سياسة معاوية المالية، ومعقبة بنص قولها: ((**إنَّ عليّاً أدَّى الأمانةَ، وعملَ بأمرِ اللهِ وأخذَ بهِ، وأنتَ ضيّعتَ أمانتَكَ، وخنتَ اللهَ في مالِهِ؛ فأعطيتَ مالَ اللهِ منْ لا يستحقُّهُ. وقدْ فرضَ اللهُ في كتابِهِ الحقوقَ لأهلِها وبيَّنَها فلمْ تأخذْ بها، ودعانا —أيْ عليٌّ— إلى أخذِ حقِّنا الذي فرضَ اللهُ لنا فشُغِلَ**))[٣٠] .

تجلّت في هذه المواجهة المباشرة عبقرية الاستجابة البليغة من خلال توظيف استراتيجية القلب والمغالطة العكسية ؛ حيث نجحت المرأة في إيقاع السائل في حبائل حجته ونقضها عليه ؛

لإفحامه فبدلاً من اتخاذ موقف دفاعي يبرر التهم الموجهة إليها، عمدت إلى إعادة تأطير منطلقات الخطاب السلطوي وقلب الأدوار بالكامل؛ فتحوّلت من موقع المتَّهَمة إلى موقع المحاكمة لرأس السلطة، مستخدمةً ألفاظ الخصم ومبرراته أدلة إدانة ضده. ويظهر هذا الجواب المسكت جلياً في قلب تكييف العطاء المالي؛ فبينما أراد معاوية فرض لغة المَنّ والمكرمة ؛ لكسر كبريائها وإظهار سلطته الأبوية ، قلبت الطاولة عليه بتحويل المال إلى حق مغصوب أُجبرت السلطة على ردّه وأمانةٍ خانها الحاكم وضيعها؛ لتتحول الحجة التي أرادها الخصم صك غفرانٍ له إلى برهانٍ علني يُعرّي زيفه ويُبطل فخه الخطابي أمام الجمهور. ولم يقتصر هذا الهدم اللفظي على رأس السلطة فحسب، بل امتد ليشمل حاشيته ، فبينما أراد عمرو بن العاص تحجيمها وفرض الوصاية عليها بأمرها أن تقصر من قولها وتغض من طرفها، قلبت الطاولة عليه فوراً بتحويل النقاش إلى ساحة تاريخ الأنساب والشرعية الرمزية، مستغلةً محاولته لإفحامه بتعرية أصله ووضاعة نسبه في قريش ؛ ليتحول من موقع الواعظ إلى موقع المدافع العاجز عن شرفه. وبالمثل تماماً، حين حاول مروان بن الحكم استخدام مغالطة الحط من الشأن عبر وصمها بالعجوز الضالة فاقدة العقل والبصر، قلبَت حجته عليه بالتحويل العكسي للمعايرة ، فلم تلتفت للدفاع عن سنّها، بل اتخذت من أوصافه المنطلَق لتشريح دمامته وقصر قامته وطعن نسبه علناً ؛ ليتواطأ فخ الإسكات والترهيب الذي نصبه عمرو ومروان في محاصرتهما هما، وينتهي بهما المطاف إلى الصمت العاجز بعد أن تحوّلت محاولات التحجيم السلطوي إلى مادة دسمة للفخر بآل البيت النبي، وتعرية خصومهم.

سابعا_ الاستجابة البليغة عبر آلية المقارنة والإحراج اللغوي :

تُمثّل آلية المقارنة والإحراج اللغوي إحدى أرقى الاستراتيجيات الحِجاجية في بلاغة الجمهور والمهمشين؛ حيث لا تعتمد استجابة المتكلم هنا على مجرد رد الفعل العفوي، بل على هندسة خطابية مسبقة تهدف إلى محاصرة الطرف الآخر(النخبوي أو الرمز) وإلزامه بتبعات أقواله. وتتحقق هذه الآلية عبر مهارة التدرج الحِجاجي والقياس الإحراجي، حيث يسوق المتكلم مقدمة صغرى مسلّم بها ؛ ليأخذ من محاوره حكماً قاطعاً، ثم يعمد إلى إجراء مقارنة مباغتة مع مقدمة كبرى (الواقعة المراد الحِجاج فيها)، فيقع المحاور في مأزق الإحراج اللغوي والمنطقي؛ إذ يصبح مخيراً بين نقض حكمه الأول (وهو عجز وبطلان)، أو الالتزام به فيشمل نفسه بالإدانة.

ومن الشواهد التراثية التي تجسد ذروة الإحراج اللغوي لا سيما في سياق المواجهة غير المتكافئة بين الجمهور المهمش وسلطة بطشة يمثلها الحجاج بن يوسف الثقفي؛ إذ ينقل الرواة حواره مع امرأة من الخوارج توعدها وأتباعها ، فقد ((قَالَ) العُمريُّ : عن الهيثمِ بنِ عديٍّ عَن ابنِ عيّاشٍ

قالَ: قَالَ الحجَّاجُ لامرأةٍ منَ الخوارجِ : واللَّهِ لأعذِّبنَّكم عذّاً ولأحصِدنَّكم حصداً ، فقالَتْ : أنتَ تحصِدُ واللَّهُ يزرعُ فانظرْ أينَ قدرةُ المخلوقِ منْ قدرةِ الخالقِ)) [٣١] .

إن تحليل هذه الاستجابة البليغة عبر آلية المقارنة والإخراج اللغوي يكشف عن وعي تفكيكي حاد يمتلكه الفرد المهمش في مواجهة لغة القوة ؛ فالمرأة هنا لم تلجأ إلى الدفاع التقليدي ، ولم تستجدِ عطف السلطة ، بل عمدت إلى إعادة تدوير الاستعارة السلطوية ذاتها ، فحين استخدم (الحجّاج) مجاز الحصد ؛ ليعكس فائض القوة والقدرة على الاستئصال والمحو، قامت المرأة بآلية إخراج لغوي مضاد نقلت به اللفظ من فضاء السياسة والترهيب الدنيوي إلى فضاء العقيدة والمحاجة الوجودية . ومن خلال آلية المقارنة التقابلية (أنت تحصد ، والله يزرع) ، خلقت المرأة موازنة بصرية ومفهومية ألغت بها مركزية السلطة ، فالحصد فعلٌ تَبَعيٌّ تدميري لا يملك مشروعية الوجود إلا إذا سبقه فعل الزرع الذي هو هبة الخالق ونماؤه.

ومن منظور سوسيولوجيا الخطاب، تتماشى هذه الاستجابة البليغة مع أطروحات عالم الاجتماع جيمس سكوت (James C. Scott) حول (المقاومة بالحيلة) وما يُعرف بـ الخطاب المستتر (Hidden Transcript) للجمهور المهمش[٣٢] ، ففي مناخات القمع التي يَعْدَم فيها المستضعف أدوات المواجهة المادية ، تصبح البلاغة هي السلاح الاستراتيجي البديل لكسر هيبة السلطة وتجريدها من تفوقها الرمزي . إن المرأة لم تكسر حاجز الخوف بالتمرد العسكري ، وإنما بصياغة شروط جديدة للمواجهة اللغوية ، حيث حوّلت(الحجّاج) من فاعل مطلق بيده مصائر البشر، إلى مجرد عامل أثير مجرّد من الإرادة في منظومة كونية كبرى يديرها الخالق (فانظر أين قدرة المخلوق من قدرة الخالق). هذا الإخراج اللغوي يمثّل ذروة المقاومة السوسيولوجية ، إذ يعيد تعرية السلطة سياسياً عبر تقزيم حجمها وجودياً، لتثبت هذه الاستجابة البليغة أن لغة المهمشين قادرة على محاصرة لغة الطغيان وإحالتها إلى عجز بلاغي ومادي محتوم.

وصفوة القول ومحضه أنَّ الاستجاباتِ النسائيةَ المسكتة في التراثِ العربيِّ لمْ تكنْ محضَ نوادرَ أدبيةٍ، أوْ فلتاتٍ لسانيةٍ عابرةٍ تبتغي التندرَ، بلْ هيَ فعلٌ سياسيٌّ واجتماعيٌّ مقاومٌ يقعُ في صميمِ الفاعليةِ التداوليةِ لـ (بلاغةِ الجمهورِ). وتتبدى الكفايةُ الإجرائيةُ والمنهجيةُ لمقترحِ (بلاغةِ الجمهورِ) في كونهِ الأداةَ الأشدَّ ملاءمةً لملاحقةِ ذكاءِ الأجوبةِ النسائيةِ المسكتةِ؛ إذْ نجحَ هذا المقترحُ المعرفيُّ في إخراجِ خطابِ المرأةِ التراثيِّ منْ مأزقِ التلقي السلبيِّ ، والإنتاجِ النخبويِّ المحتكرِ إلى أفقِ الاستجابةِ البليغةِ ؛ مما يبرهنُ على أنَّ الهامشَ الجندريَّ والسياسيَّ لمْ يكنْ عاجزًا لغويّاً ، بلْ كانَ مستودعًا لاستراتيجياتٍ حجاجيةٍ بالغةِ التطورِ.

إنَّ ذكاءَ الأجوبةِ النسائيةِ المسكتةِ يتجاوزُ مجردَ الردِّ الفوريِّ إلى تفكيكِ الآلياتِ السيكولوجيةِ ، والخيوطِ الخطابيةِ التي يغزلُها المنشئُ المستعلي (سواءً أكانَ خليفةً، أمْ والياً، أمْ رمزاً مجتمعيّاً ذكورياً). وتكشفُ هذهِ الدراسةُ أنَّ مقترحَ بلاغةِ الجمهورِ يمتلكُ كفايةً تفسيريةً عاليةً في رصدِ كيفيةِ ممارسةِ المرأةِ لـ (المقاومةِ الرمزيةِ) عبرَ قنواتٍ تداوليةٍ محكمةٍ؛ لعلَّ أبرزَها آليةُ (إعادةِ التدويرِ الخطابيِّ)، حيثُ تلتقفُ المرأةُ الكلماتِ الملغومةَ والمقذوفاتِ اللفظيةِ الموجهةِ ضدَّها، وتعيدُ صياغتَها وصهرَها في قالبٍ تهكميٍّ أوْ حجاجيٍّ؛ لترتدَّ على المنشئِ بذاتِ سلاحِهِ الرمزيِّ ، فضلا عن ذلك ، فإنَّ هذا التدافعَ البلاغيَّ يثبتُ كفاءةَ ذكاءِ الذاتِ المتلقيةِ في مباغتةِ السلطةِ عبرَ ثنائيةِ (الإحراجِ والقلبِ العكسيِّ) ، والاستنادِ إلى المرجعياتِ المتعاليةِ ، نحو(القرآنِ الكريمِ والتاريخِ)، وهيَ استراتيجياتٌ لا تكتفي بردعِ المعتدي لغويّاً، بلْ تعملُ على توهينِ أصلِهِ الرمزيِّ ، وإحراجِ شرعيتِهِ أمامَ الحشدِ الحاضرِ، مما يحولُ مجلسَ السبيِّ أوْ مجلسَ النخبةِ إلى محكمةٍ علنيةٍ يُدانُ فيها المستبدُّ. إنَّ هذهِ الهندسةَ التواصليةَ الخاطفةَ تؤكدُ أنَّ مقترحَ بلاغةِ الجمهورِ لاءمَ وبكفايةٍ تامةٍ رصدَ تحولاتِ القوةِ داخلَ الخطابِ، معلنًا أنَّ صمتَ التهميشِ قدْ تهاوى تحتَ ضرباتِ لسانٍ يحرمُ المركزَ منْ ميزةِ التعقيبِ، ويفرضُ عليهِ الإذعانَ والصمتَ المطبقَ.

الخاتمةُ والنتائجُ

استوى هذا بالحث إلى صياغةِ مجموعةٍ منَ النتائجِ أبرزِها:

- أثبتَ البحثُ أنَّ ربطَ الأجوبةِ المسكتةِ للنساءِ بمنجزِ الدكتورِ عمادِ عبدِ اللطيفِ(بلاغةِ الجمهورِ) قدْ نقلَ هذهِ النصوصَ منْ حيزِ الطرائفِ الأدبيةِ المعزولةِ إلى أفقِ الفعلِ الاحتجاجيِّ المنظمِ، بوصفِها(استجاباتٍ بليغةً) تملكُ قدرةً تفكيكيةً لخطاباتِ الهيمنةِ.
- تجلتْ (بلاغةُ المهمشينَ) في أبهى صورِها الأدائيةِ منْ خلالِ قدرةِ المرأةِ العربيةِ على كسرِ ثنائيةِ (المنشئِ النخبويِّ / المتلقي السلبيِّ)، حيثُ تحولتِ المرأةُ منَ الانكفاءِ الذاتيِّ إلى صناعةِ الأثرِ الخطابيِّ ومجابهةِ مراكزِ النفوذِ (السياسيِّ، والأبويِّ، والمجتمعيِّ).
- رصدتِ الدراسةُ تنوعَ الاستراتيجياتِ الحجاجيةِ التي وظفتْها النساءُ لإحداثِ صدمةِ الإفحامِ؛ والتي تراوحتْ بينَ (المقاومةِ بالكلمةِ، وتفكيكِ الفخاخِ الملغومةِ، وتقويضِ المركزِ عبرَ السخريةِ، والمحاججةِ بالمرجعيةِ القرآنيةِ العليا، فضلاً عنْ آليةِ القلبِ والمغالطةِ العكسيةِ).
- إنّ ثالوثَ (الإيجازِ، والسرعةِ الخاطفةِ، والضربةِ القاضيةِ) هوَ المحورُ البنيويُّ الذي مكّنَ لسانَ الهامشِ منْ شلِّ حركةِ الخطابِ السلطويِّ، وحرمانِ الخصمِ منْ أيِّ مساحةٍ للمناورةِ أوْ ترميمِ نفوذِهِ المراقِ لسانيّاً.

_كشف البحث عنْ سمةِ(العقلانيةِ والوعيِّ التداوليِّ) لدى النساءِ في التراثِ؛ إذْ لمْ تكنْ ردودُهنَّ انفعالاتٍ عاطفيةً، بلْ كانتْ بدائهَ ذكيةً تقومُ على قراءةِ السياقِ، وتعريةِ سيكولوجيةِ المستبدِّ، وفرضِ المعاملةِ بالمثلِ.

التوصيات والمقترحات:

١- توصي الدراسةُ بضرورةِ إعادةِ قراءةِ المدوَّناتِ التراثيةِ النسائيةِ وأشكالِ تعبيرِها الأخرى، نحو ،الوصايا، والرسائلِ، والرثاءِ في ضوءِ نظريةِ(بلاغةِ الجمهورِ) والنظرياتِ التداوليةِ الحديثةِ؛ للوقوفِ على آلياتِ المقاومةِ اللغويةِ وتفكيكِ فخاخِ السلطةِ، بدلاً منْ اختزالِها في حيزِ المُلَحِ والطرائفِ الأدبيةِ .

٢- الدعوةُ إلى تأسيسِ أفقٍ بحثيٍّ جديدٍ ينبثقُ منْ بلاغةِ الجمهورِ يُعنى بـ (بلاغةِ الفئاتِ المستضعفةِ) ، وملاحقةِ آلياتِ المقاومةِ اللغويةِ لَدَى الجماعاتِ المهمشةِ تاريخيّاً واجتماعيّاً في الفضاءِ العامِّ المعاصرِ.

٣- حثُّ المؤسساتِ الأكاديميةِ على إدراجِ مفاهيمِ (بلاغةِ الجمهورِ) ضمنَ مناهجِ الدراساتِ العليا؛ لتطويرِ مهاراتِ التحليلِ النقديِّ لخطاباتِ الهيمنةِ والتضليلِ في الفضاءاتِ العامةِ والافتراضيةِ.

الهوامش

---

(١) ينظر : بلاغة المخاطب البلاغة العربيَّة من إنتاج الخطاب السُّلطوي إلى مقاومته، عماد عبد اللطيف ، ضمن السلطة ودور
المثقف ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر : بلاغة الحريَّة، معارك الخطاب السِّياسي في زمن الثَّورة : ٦١

(٣) ينظر: البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات:٣٨٧-٣٨٨

(٤) بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، عبد الوهاب صديقي، ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات: ١١٨.

(٥)من الوعي الى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي،عماد عبد اللطيف،مجلة ثقافات، ع ٢٢، ٢٠٠٩م:٧٨

(٦) مفاهيم اللسانيات العرفانية ومحددات بلاغة الجمهور، صالح غليوس، مجلة العمدة في اللسانيات والخطاب،العدد ٦ ، الجزائر
، ٢٠١٩م :١٣٧-١٣٨

(٧) البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات: ٤٦٩، وينظر : بلاغة الفقراء الاستجابة البليغة لخطاب تحقير طعام الغلابة: د.

عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب، مج (١٨)، ع (٢)، ٢٠٢٣ م :١٧.

(٨) بلاغة الجمهور بين النظرية والمنهج . حوار مع د. عماد عبد اللطيف، د. غادة سويلم أوراق، مجمعية صادرة عن المجمع العلمي العراقي ، ع١٢، ٢٠٢٣م:٧٦.

(٩) بلاغة المخاطب البلاغة العربية من انتاج الخطاب السلطوي الى مقاومته ، عماد عبد اللطيف ، ضمن السلطة ودور المثقف

، جامعة القاهرة : ٢٠٠٥م :٢٨

(١٠) الاستجابة البليغة مقاومة الخطاب السلطوي في العالم العربي : ١٩

(١١) بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات : ٢٧

(١٢)الاستجابة البليغة مقاومة الخطاب السلطوي في العالم العربي :٢١

(١٣) لسان العرب مادة (جوب) :٢٣١/٣

(١٤) مقاييس اللغة مادة(سكت) :٨٩/٣

(١٥) الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون : ٦٧، وينظر: بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات : ٢٠

(١٦) الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون : ٢٠، وينظر : البلاغة العربية الجديدة مسارات ومقاربات :٣٩٢

(١٧) الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة : ١١٥

(١٨) ينظر : المصدر نفسه :١١٦-١١٩

(١٩) بلاغات النساء :٣٩-٤٠

(*) ديوان جرير : ٨٢١/٢

(٢٠)الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون :١٧٤

(٢١) المصدر نفسه : ١٧٥

(٢٢) المصدر نفسه :١٧٧

(٢٣) بلاغات النساء :٢٥-٢٦

(٢٤) الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون : ١٦٨

(٢٥) الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون :١٦٧

(٢٦)المصدر نفسه :١٦٨

(٢٧) بلاغات النساء :٣٢-٣٣

(٢٨) المصدر نفسه : ٣٣

(٢٩)المصدر نفسه :٣٣

(٣٠) المصدر نفسه :٣٤

(٣١) الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون:١٢٦

(٣٢) ينظر : المقاومة بالحيلة ، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم ٢١-٢٣

المصادر والمراجع

❖**القرآن الكريم**

❖الأجوبة المسكتة ، ابن أبي عون(إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: د. مي أحمد يوسف، عين للدِّراسات والبحوث الإنسانيَّة و الإجتماعيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

❖الاستجابة البليغة مقاومة الخطاب السلطوي في العالم العربي ،إشراف وتنسيق سعيد بكار وعماد عبد اللطيف ، ط١، دار كنوز المعرفة ،عمان ، الأردن ، ٢٠٢٥م.

❖بلاغات النساء، ابن طيفور (الإمام أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر ت٢٨٠هـ) ،صححه وشرحه أحمد الألفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ، الشرقية ، القاهرة ،١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

❖بلاغة الجمهور بين النظرية والمنهج . حوار مع د. عماد عبد اللطيف، د. غادة سويلم أوراق، مجمعية صادرة عن المجمع العلمي العراقي ، ع١٢، ٢٠٢٣م .

❖بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات، تحرير وتقديم: د. صلاح حسن حاوي – د. عبد الوهاب صديقي، دار شهريار، العراق، البصرة ، ط١، ٢٠١٧.

❖بلاغة الجمهور مفاهيم وقضايا، عبد الوهاب صديقي ضمن كتاب بلاغة الجمهور مفاهيم وتطبيقات وتطبيقات، ٢٠١٧، البصرة ، شهريار.

❖بلاغة الحريَّة معارك الخطاب السِّياسي في زمن الثَّورة ، عماد عبد اللَّطيف، دار التَّنوير، الطَّبعة الأولى، ٢٠١٣ ، بيروت.

❖البلاغة العربيَّة الجديدة مسارات ومقاربات، دكتور عماد عبد اللَّطيف، كنوز المعرفة، ط١،الاردن ،٢٠٢١م.

❖بلاغة الفقراء الاستجابة البليغة لخطاب تحقير طعام الغلابة، عماد عبد اللَّطيف، مجلَّة الخطاب، المجلد ١٨ – العدد ٢ ،٢٠٢٣م.

❖بلاغة المخاطب، البلاغة العربيَّة من إنتاج الخطاب السُّلطوي إلى مقاومته: د. عماد عبد اللَّطيف، ضمن كتاب السُّلطة ودور المثقَّف، جامعة القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.

❖الحضور البلاغي في الأجوبة المسكتة، منيرة محمد فاعور ، مجلة التراث العربي ، مج٣٢ ، دمشق ، ٢٠١٤م .

❖ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق د.نعمان محمد أمين طه ،ط٣، دار المعارف، القاهرة ،مصر.

❖معجم لسان العرب ، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٣م.

❖معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفة البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٧٢م .

❖مفاهيم اللسانيات العرفانية ومحددات بلاغة الجمهور، صالح غليوس، مجلة العمدة في اللسانيات والخطاب ،العدد ٦ ، الجزائر ، ٢٠١٩م .

❖المقاومة بالحيلة ، كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم ، جيمس سكوت ، ترجمة :إبراهيم العريس ، ومخايل خوري ، ط١ ، دار الساقي ، ١٩٩٥م.

❖من الوعي الى الفعل مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السلطوي ، عماد عبد اللطيف، مجلة ثقافات ، ع ٢٢ ، ٢٠٠٩م .

Sources and References

—The Holy Quran

The Silencing Answers, by Ibn Abi Awn (Ibrahim ibn Muhammad ibn Ahmad (d. 322 AH)), edited by Dr. Mai Ahmad Yusuf, Ain Center for Human and Social Studies and Research, Cairo, 1st edition, 1996.
The Eloquent Response: Resisting Authoritarian Discourse in the Arab World, supervised and coordinated by Saeed Bakkar and Imad Abdul Latif, 1st edition, Dar Kunooz Al-Ma'rifah, Amman, Jordan, 2025.
Women's Eloquence, by Ibn Tayfur (Imam Abu al-Fadl Ahmad ibn Abi Tahir, d. 280 AH), corrected and explained by Ahmad al-Alfi, Abbas I Mother's School Press, Sharqia, Cairo, 1326 AH/1908.
The Rhetoric of the Public: Between Theory and Methodology. A dialogue with Dr. Imad Abdul Latif and Dr. Ghada Sweilem. A journal published by the Iraqi Academy of Sciences, No. 12, 2023.
 Public Rhetoric: Concepts and Applications, edited and introduced by Dr. Salah Hassan Hawi and Dr. Abdul Wahab Siddiqi, Shahriar Publishing House, Basra, Iraq, 1st edition, 2017.
 Public Rhetoric: Concepts and Issues, Abdul Wahab Siddiqi, within the book Public Rhetoric: Concepts and Applications, 2017, Basra, Shahriar.

 The Rhetoric of Freedom: Battles of Political Discourse in the Time of Revolution, Imad Abdul Latif, Dar Al-Tanweer, 1st edition, 2013, Beirut.

 New Arabic Rhetoric: Paths and Approaches, Dr. Imad Abdul Latif, Treasures of Knowledge, 1st edition, Jordan, 2021.

 The Rhetoric of the Poor: The Eloquent Response to the Discourse of Disparaging the Food of the Poor, Imad Abdul Latif, Al-Khitab Magazine, Volume 18, Issue 2 2023.

 The Eloquence of the Addressee: Arabic Rhetoric from the Production of Authoritarian Discourse to its Resistance: Dr. Imad Abdel Latif, in the book *Authority and the Role of the Intellectual*, Cairo University, 1st edition, 2005.

 The Rhetorical Presence in Silencing Answers, Munira Muhammad Faour, *Arab Heritage Journal*, Vol. 32, Damascus, 2014.

 Diwan Jarir, commentary by Muhammad ibn Habib, edited by Dr. Nu'man Muhammad Amin Taha, 3rd edition, Dar al-Ma'arif, Cairo, Egypt.

 Lisan al-Arab Dictionary, Ibn Manzur (Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram al-Ansari (d. 711 AH)), Dar Sader, Beirut, Lebanon, 2003.

 Mu'jam Maqayis al-Lughah, Ibn Faris (Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya, d. 395 AH)), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, 2nd edition, Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Press, Egypt. 1972.
 Concepts of Cognitive Linguistics and the Determinants of Audience Rhetoric, Saleh Ghalious, Al-Umda Journal of Linguistics and Discourse, Issue 6, Algeria, 2019.

□ Resistance by Deception: How the Ruled Whisper Behind the Ruler's Back, James Scott, translated by Ibrahim Al-Aris and Mikhail Khoury, 1st edition, Dar Al-Saqi, 1995.
□ From Awareness to Action: Contemporary Approaches to Resisting Authoritarian Discourse, Imad Abdel Latif, Thaqafat Journal, Issue 22, 2009.